
نظرة
شاملة
على
كتاب
مشروع
تمكين الأمة المسلمة
لمؤلفه حسن أحمد الدقي

المقدمة و أهداف الكتاب

(رَبَّنَا لكَ الحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ومِلْءُ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بَعْدُ، أهْلَ الثَّنَاءِ والمَجْدِ، أحَقُّ ما قالَ العَبْدُ، وكُلُّنَا لكَ عَبْدٌ: اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِما أعْطَيْتَ، ولَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ) [1]، وأُصلي وأُسلم على رسول الهدى، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد جَرَت أنهارٌ جديدة ودافقة، من التحوُّلات الكُبرى، والثورات الشعبيَّة المباركة، في أودية المسلمين الجرداء القاحلة، منذ أن غزاها الصليبي جورج بوش الابن عام 2001م ، وتتابعت في ساحات الأمة المسلمة، سُنَن التغيير كالموج الهادر، فثبَّتَ اللهُ عز وجل بها قلوبَ المُتَرَدِّدين، وأحيا بها آمال اليائسين، وكسَرَ بها أطواق وسجون العُمَلاء المتُجبِّرين، وأسقط كِبارَ الطُّغاة العَالَمِيّين قبل صِغارِهم، كما فعل بأكْبر حِلفٍ عسكري عرفه البشر، وهو حِلف الناتو الصليبي، حيث أذلَّه الله في أفغانستان إذلالا متواصلا طِوال عِقدين من الزمن، كما أذلَّهم من قبل في العراق؛ وجاءت ثورات الشعوب العربية المباركة بنهاية عام 2010م، لتضيف إلى كَسْرِ الحملة الصليبية كَسْرا مُضاعفا، ولكي تَهتِك معها سِتْر الصَّفويَّة الباطنيَّة المُعاصرة، فهدَّدت الثورات العربية عُمَلاءَ الحملة الصليبية، الذين نَصَّبتهم في الحكم منذ قرن مضى، وهدَّدت معهم أسيادهم في تل أبيب؛ خاصة وأن المؤشرات الميدانية والتراكميَّة، تُنذر بانتقال ثورات الربيع العربي إلى عشريَّتها الثانية، فهي مُرشحة للتجدُّد والاتساع في كل الاتجاهات، بعد أن زلزلت عشريَّتُها الأولى عروش الطغاة العرب، وجَعَلت عَاليَها سَافلَها؛ ومن خَفيِّ الألطاف الربَّانيَّة، أن تزامنت ثورات الربيع العربي، مع انتصار العَمالقة الأفغان، والنَّهضة التُركيَّة الشاملة، التي تكاد تُميط عنها نظام الوصاية الصليبية واليهودية، كما يوشك الشعب الباكستاني أن يلتحق بركب التغيير المبارك؛ وبذلك تبدأ أول إشارات تكامُلِ أداء الأمة المسلمة، في إدارة الصراع

---

(1) رواه مسلم، من حديث ابي سعيد الخدري، وهو دعاء النبي ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الصلاة.

العالمي والإقليمي، ومدافعة مشاريع الأمم المتداعية عليها، فالقائمة تضم الأفغان، والعرب بجميع مُكوّناتهم من كُرد وأفارقة وأمازيغ، وتضم التُّرك، والباكستانيين، ولا يسع المُسلم وهو يرى هذه التحوُّلات الفارقة، إلا أن يُردِّدَ قول الله عز وجل: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ، هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ، وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾آل عمران:137-140.

ويأتي هذا الكتاب بعنوان: "مشروع تمكين الأمة المسلمة" في إصداره الثاني [1]، استجابة لأمر الله عز وجل للمؤمنين، باستشعار العُلوّ الإيماني ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، واستنهاضا لِهِمَمِ المُوَحِّدين، حتى يلتحقوا بالحتميَّة والوعد، الذي قضاه الله عز وجل للأمة المسلمة، بتمكينها في الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾النور:55، قال القرطبي: (وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إن الله تعالى أمَّنهم ومكَّنهم وملَّكهم، فصَحَّ أن الآية عامة لأمة محمد - ﷺ - غير مخصوصة؛ إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم) [2]، فالأصل في حال الأمة "الاستخلاف"، و "التمكين"، فإن وقعت في حال الخوف والاستضعاف مُجدَّدًا، فالحتميَّة الربانيَّة قد قضت بتبديل الخوف إلى "التمكين"، وتبديل الفُرقة إلى الجماعة والخلافة؛ فتمام دين الإسلام وكماله بوجود الأمة، وتمام وجود الأمة بالخلافة.

---

(1) باعتبار هذا الكتاب إصدار ثان للكتاب الأول للمؤلف، وعنوانه: ملامح المشروع الإسلامي، الذي صدر عام 2004م.

(2) تفسير القرطبي.

ومعلوم أن السعي لتحقيق التمكين يشمل أبوابا كثيرة من القول والعمل، ومنه الاعتصام وعدم الفُرقة، ومنه الإعداد والجهاد في سبيل الله تعالى، ومنه طلب العِلم والتفقُّه في دين الله تعالى، ثم بذل النصيحة للمُسلمين، كما ورد في قول النبي ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ) [1]، ومن مُقتضيات النصيحة للأمة المسلمة، في هذه اللحظة من تاريخها، استفراغ الجهود العِلْميَّة والعَمَليَّة، للوقوف على النوازل الكُبرى التي ألَمَّت بالأمة، والتعمُّق في دراسة واقعها وأزماتها، ودراسة أحوالها في ظل أحكام دينها، بُغية فك العُقد التي تضربها، وتوقع مستقبلها في ظل سُنن التدافع والصراع بينها وبين أمم الكُفر؛ أي تحقيق ما أمر الله عز وجل به، من واجب التفقه في الدين، والقيام بواجب النَّذارة والتحذير، كما في قول الله عز: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾التوبة:122، فالآية قد جمعت بين فَرضين، فرض الجهاد وفرض طلب العلم، ويُرجِّحُ الإمام القرطبي انصراف معنى قوله تعالى (لِيَتفَقَّهوا) و (ليُنْذِروا) لطالبي العلم، فيقول: (قوله تعالى "ليتفقَّهوا" الضمير في "ليتفقَّهوا، وليُنذروا" للمُقيمين مع النبي ﷺ، قاله قتادة ومجاهد... قلت: قول مجاهد وقتادة أبْيَن) [2].

ولا أزعم أني أقدم في هذا الكتاب "اجتهادا شرعيّاً" قد استوفى متطلبات الاجتهاد، وفق ما اعتمده علماء المسلمين؛ فإن للاجتهاد الشرعي رجاله وعمالقته ولست منهم، وإنما تتركز محاولتي في هذا الكتاب، على إثارة الأسئلة اللصيقة بحال الأمة المسلمة الكُلِّي، والوقوف على العوامل والقواسم المشتركة، التي صنعت واقعها في مجال المدافعة، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، ومواصلا طرح موضوع "المشروع الإسلامي"، والتنقيب في قضاياه الجوهرية والإطاريَّة، مستعينا بالله عز وجل، وما يسَّره لي سبحانه من اشتغال بهذا التخصص منذ عام 1994م، وثمرته الأولى التي

(1) رواه مسلم من حديث تميم الداري.

(2) تفسير القرطبي.

أودعتها كتاب "ملامح المشروع الإسلامي في الربع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري" عام 2004م؛ وما كان ذلك ليتأتَّى لي لولا فضل الله عز وجل بالعيش في أجواء الجماعات الإسلامية، وتلقِّي العِلم من العُلماء الذين تيسَّر الأخذ منهم، منذ عام 1973م، والسفر والاقتراب من مواقع الأزمات والساحات الساخنة، ومقابلة الرموز الدعوية والسياسية والجهادية والفكرية في الأمة، والدراسة المقارنة لأداء الجماعات الإسلامية وقضايا الأمة وأزماتها، والقرب من أجواء ثورات الربيع العربي، ومقابلة عدد وافر من القيادات المجاهدة والثوريَّة، في ساحات الربيع العربي، ومشافهتهم ودراسة تجاربهم، والاستفادة منهم، والتفرغ التام لدراسة وتدريس مسائل "المشروع الإسلامي"، لعدد كبير من شباب الساحات الثورية، من السوريين والمصريين والليبيين وغيرهم، خلال العشرية الأولى من ثورات الربيع العربي؛ فأسأله جلَّت قدرته أن يبارك في هذا الجهد ويتقبله، وحسبي أني سعيت قدر استطاعتي لسنتين ونصف متصلة، لبلورة هذا النموذج من نماذج "المشروع الإسلامي"، وإضافته إلى النماذج التي يمكن تصورها وطرحها في ساحة الصراع والتدافع، الذي تخوضه أمة الإسلام على المستوى القُطري والإقليمي والعالمي، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وفي النقاط المختصرة التالية، سوف أستعرض أهم بصمات الكتاب، ومعالمه الأساسيَّة:

- يُقدِّمُ الكتاب لعامَّة المسلمين وخاصتهم خطة استراتيجية، وأنموذجا تطبيقيَّاً في مجال المشروع الإسلامي، كإطار عام مُقترح، يُحدِّدُ ويحكُمُ عمليَّات الحراك السياسي والجهادي نحو تمكين الأمة المسلمة، واستعادة دولتها ووجودها، الذي فقدته قبل قرن من الزمن، وهو نظام الخلافة الإسلامية، في ظل اجتهاد جماعي معاصر، تلتقي عليه مُكوِّنات الأمة المسلمة المختلفة.

- تم وضع هذا الكتاب وفق منهج أساسي ومناهج مساعدة، فأما المنهج الأساسي، فهو المنهج الرباني بشقَّيه الشرعيّ وفهم السُّنَن الكونية، وأما المناهج المساعدة، فمنها منهج الدراسات المقارنة، النظرية منها والميدانية، لتاريخ شعوب الأمة المعاصر، وأدائها السياسي، وأزماتها وقضاياها الكُبرى، ومنهج التخطيط الاستراتيجي، ومنهج تحليل السيناريوهات، ومناهج الصراع الدولي، والأداء المؤسسي والتنظيمي في ظل ذلك الصراع.

- انتهت رؤية هذا الكتاب إلى أن المُحرِّكٍ الأخطر والأهم، في عمليَّة وضع وبناء مشروع تمكين الأمة المسلمة؛ إنما يتمثَّل في ضرورة اجتماع علماء الأمة ومستشاريها، وإجابتهم على "النوازل الكُبرى" التي تضرب ساحاتها، والتي تُشكِّل القواسم المشتركة في أزماتها، وعلى ضوء ذلك الاجتهاد الجماعي في النوازل الكُبرى، يمكن بناء بقية أجزاء المشروع الذي يمثل أمة الإسلام، وهو أمر لن يتحقق إلا بتفعيل المنهج الشرعي، في النظر إلى تلك النوازل، وما ورثته الأمة من علم أصول الفقه وفقه النوازل، وأن تنازع المناهج المختلفة في أمر الاجتهاد المعاصر، بين الاتجاهات السياسية والفكرية، ومناهج الجماعات والتيارات، والقوميات والعِرقيَّات، لن يُحَلَّ إلا بأن نَرُدَّ التنازع إلى ما أمرنا الله عز وجل به، أي إلى المنهج الشرعي، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾النساء:59، وتأتي أدوار بقية المناهج الفكريَّة والسياسية والاستراتيجية، كداعم لأداء العلماء الشرعيين لا متقدما عليه ولا مناقضا له، الأمر الذي تم التعرُّض له في الفصل الخامس في هذا الكتاب.

- ولعلَّ أهم وأخطر أمر يتعلَّق بتفعيل منهج فقه النوازل، لمعالجة قضايا الأمة الكُبرى، ولجمع فُرقاء الأمة على كلمة سواء، هو العمل على تنزيل الأحكام المترتبة على النوازل، في واقع الأمة المسلمة، وساحاتها المختلفة التي تعاني من صراع مُعقَّد في المجال العَقَدي والسياسي والعسكري والاقتصادي، ثم تأتي مهمة تفصيلية

في تطبيق تلك الأحكام، وهي مهمة فقه التنزيل، والذي سوف يحدد المدى المُتاح لتطبيق الأحكام، وفق الواقع وظروفه وتحديد الضرورات التي يمكن الأخذ بها، لصالح إسناد الأداء في الأمة، ومدها بالمرونة اللازمة لإدارة الصراع في ميادينه المختلفة، وإيقاف مسلسل الاتهامات والتراشقات بين الكُتل والجماعات الإسلامية، في إدارة قضايا الأمة الكُبرى والكُلِّيَّة.

- يؤسس المؤلف أحد أهم أركان تصوراته للمشروع الإسلامي، على ضرورة مواجهة أخطر النوازل التي حلَّت بالأمة المسلمة، والتي أدت إلى دخولها في مرحلة السقوط الحضاري، واستضعاف أمم الكُفر لها، وهي نازلة سقوط دولتها، وذهاب سلطانها وسيادتها، وتحكم أعدائها في جميع شؤونها؛ وذلك منذ أن خضع أمراء جزيرة العرب لاتفاقيات الإذعان مع الإنجليز عام 1914م و 1915م، ومنذ أن خضعت تركيا لاتفاقية الإذعان التي وُقعت في لوزان عام 1923م، وخضوع بقيَّة شعوب الأمة المسلمة لهيمنة الحملة الصليبية، من جاكرتا شرقا إلى الرِّباط غربا؛ حيث تشبه نازلة فقد الدولة، في تاريخ الأمة المسلمة المعاصر، من حيث مناطات الأحكام المتعلقة بها، ما حدث للأمة إبان وفاة النبي ﷺ، والفراغ السياسي الذي تحقق إثر وفاته ﷺ، وسعي المنافقين من العرب لاستثمار تلك الفُرصة، وإعلان تمرُّدُهم على دولة الأمة وسلطانها، بُغية إسقاطها وإنهاء وجودها، وتفريقهم بين الدين والدولة، مُبتغين إنهاء التمكين السياسي للأمة المسلمة؛ فما كان من الصحابة رضوان الله عليهم بقيادة الخليفة الأول أبي بكر الصديق، إلا أن تصدوا لتلك النازلة التي هددت أصل وجود الأمة والدين معا، حيث أجمعوا على تقديم أبي بكر لقيادة الأمة وإمامتها وإقامة سُلطانها، كما أجمعوا على اعتبار منع الزكاة، مقدمة لهدم الدين والدولة معا، الأمر الذي قادهم رضي الله عنهم، إلى تجريد السيف، وخوض الحروب الضروس، لتثبيت دعائم الإسلام والدولة، ووجود الأمة المسلمة؛ وبالوقوف على مُجمل الأحاديث التي أنبأنا بها النبي ﷺ، عن اللحظة المستقبليَّة التي سيتحقق فيها خروج الأمة عن مسار التمكين السياسي، وتحقق السقوط التاريخي لأمة ودولة

الإسلام، وتَقدُّمِ مَن وَصَفهم النبي ﷺ "بالدعاة على أبواب جهنم"، للحُكْم والتَّحكُّمِ في شؤون الأمة، يتبيَّن وبكل وضوح بأن النبي ﷺ إنما كان يتحدث عن القرن الحالي؛ ومن الأحاديث التي تُخبِرُ عن سقوط دولة الإسلام وعودتها مُجدَّدًا، والذي يُمكن مطابقته على واقع الأمة الحالي، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: (مَنَعَتِ العِراقُ دِرْهَمَها وقَفِيزَها، ومَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَها ودِينارَها، ومَنَعَتْ مِصْرُ إرْدَبَّها ودِينارَها، وعُدْتُمْ مِن حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وعُدْتُمْ مِن حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وعُدْتُمْ مِن حَيْثُ بَدَأْتُمْ شَهِدَ علَى ذلكَ لَحْمُ أبِي هُرَيْرَةَ ودَمُهُ) [1]، فقد ربط النبي ﷺ في هذا الحديث بين تزامن الانهيار الاقتصادي والسياسي للأقاليم الثلاثة، وهي العراق والشام ومصر، وارتباط ذلك الانهيار السياسي والاقتصادي بعودة الأمة من حيث بدأت، أي أنها ستفقد دولتها وستعود إلى تأسيسها مرة أخرى؛ وهي الدولة التي تستظل بها الأمة كلها، أي دولة الخلافة الإسلامية، وليست قِطَع الكرتون التي صنعتها الحملة الصليبية اليهودية المشتركة.

- بعد أن أسهب المؤلف في تحليل واقع الأمة المسلمة على جميع الصُّعُد، من خلال توظيف رؤيته السابقة في كتاب ملامح المشروع الإسلامي، وتحقق أغلب التوقعات التي جاءت فيه، واستكمال دراسة التطورات منذ عام 2004م إلى وقتنا هذا، فقد انتهى إلى تحديد طبيعة الأزمة الشاملة، التي تضرب ساحات الأمة المسلمة، فالأزمة تنقسم إلى وجهين لعملة واحدة، فأما وجه الأزمة الأول، فيتمثَّل في فراغ الساحة من الاجتهاد المُحْكَم والتصوُّرات، التي تحتاجها الأمة وتلتقي عليها، بالرُّغم من وجود اطروحات الجماعات، والاطروحات الفرديَّة ومنها هذا المشروع؛ وأما الوجه الثاني للأزمة، فيتمثَّل في تَخَلُّفِ الآليَّات التنظيمية، القادرة على إدارة شؤون الأمة الكُلِّيَّة، وعدم قدرة تلك الآليَّات على وضع شعوب الأمة في مسار واحد؛ ويُشدِّدُ المؤلف بأن المَخرج من أزمة الاجتهاد وأزمة الآليَّات، إنما يرتكز على تفعيل

(1) رواه مسلم.

آليَّة الاجتهاد الجماعي، التي تُسمَّى في تاريخ الأمة الفقهي، آليَّة "أهل الحل والعقد"، ويطرحه كمشروع تطبيقي من مشاريع هذا الكتاب.

- يمكن أن يوصف المشروع المطروح في هذا الكتاب، من الناحية الفنِّيَّة المعاصرة، بأنه يُمثِّل ما يُسمَّى اليوم ب "الاستراتيجية الكُبرى" أو الاستراتيجية الأم، أي "Grand Strategy"، وهي الخطة الكُلِّيَّة والشاملة لأي أمة من الأمم، يكون الغرض منها حيازة الأمة المعنيَّة موقعا متقدما، بين الأمم المتنافسة على قيادة البشريَّة، كما يُعرِّفها الكاتب الأمريكي (Hal Brands) بقوله: تمثل الإستراتيجية الكُبرى، في أفضل حالاتها، مُخططًا متكاملًا للمصالح، والتهديدات والموارد والسياسات، إنه الإطار المفاهيمي الذي يساعد الدول على تحديد المكان الذي تريد أن تذهب إليه، وكيف ينبغي أن تصل إلى هناك؛ إنها النظرية أو المنطق الذي يوجه القادة الباحثين عن الأمن في عالم مُعقَّد وغيرِ آمن [(1)].

- انتهى المُؤلفُ إلى القول، بأن مستوى التهديد الوجودي والعقائدي الذي تواجهه أمة الإسلام، قد بلغ في لحظتنا هذه مبلغا لم تبلغه من قبل، وذلك بسبب تجديد الحملة الصليبية واليهودية المشتركة لأهدافها وأساليبها، في العقود الثلاثة الأخيرة، أي منذ عام 1990م وحتى الآن، حيث يتمثل التهديد بسعي النظام الدولي، نحو فرض تغيير جوهري في عقيدة المسلمين، من خلال فرض عدة مسارات عسكرية وأمنية وسياسية وثقافية وقانونية، وطموح قيادات الحملة الصليبية واليهودية المشتركة، نحو إحداث رِدَّة كُبرى بين شعوب الأمة المسلمة، وذلك من خلال نُظُم السيطرة التي تمارسها أطراف النظام الدولي، من أمريكا إلى الصين وما بينهما، ومن خلال استمرار وتطوير توظيفهم لنُظُم الحكم العميلة والموالية لهم، من ملوك وعسكر ونُظُم جمهورية، وتيارات علمانية وحداثية، واستثمارهم للدولة الصفوية

(1) Hal Brands, What Good Is Grand Strategy? Power and Purpose in American Statecraft from Harry S. Truman to George W. Bush (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2014), 3.



الباطنية في إيران؛ الأمر الذي يقتضي مسارعة الأمة إلى وضع مشروعها الشامل، الذي يواجه ويتصدى لهذا التطور الخطير والتهديد التاريخي.

- ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أجزاء أساسية، فأما الجزء الأول، فيتمثَّل في المقدمة والفصل الأول، وفيهما يلخص المؤلف طبيعة المشروع المطروح، ومرتكزات البحث فيه، عبر تقويم كتاب ملامح المشروع الإسلامي، وأما الجزء الثاني من الكتاب، فيشمل الفصل الثاني والثالث والرابع، وهي الفصول التي قام المؤلف من خلالها، بدراسة وتحليل وتفكيك واقع الأمة المسلمة، من حيث وجودها العالمي، وموقعها في نظام العلاقات الدولية، ودراسة النظام الدولي وسيناريوهات مستقبله، ثم الوقوف على تقدير الموقف الاستراتيجي الكُلِّي للأمة المسلمة وشعوبها، مع التركيز على الروافع الكُبرى التي تقود نهضتها الكُلِّيَّة، متمثلة في ثورات الربيع العربي، والنصر الأفغاني، والنهضة التركيَّة، ودراسة سيناريوهات كل رافعة من الروافع الثلاث، ثم يأتي الجزء الثالث من الكتاب، متمثِّلا في الفصل الخامس، الذي يستفتحه المؤلف بمدخل حول علاقة النوازل الكُبرى بالمشروع، ودراسة تلك النوازل كأساس لوضع المشروع الإسلامي، والاجتهاد المعاصر، ثم يطرح أبعاد المشروع بنظرياته الناظمة له، ورؤيته الاستراتيجية، ومسارات تنفيذه الاستراتيجية، ومعايير وضوابط الأداء فيه، ثم يحاول قراءة مستقبله وتوقع التطورات فيه، وأخيرا يأتي الجزء الرابع والأخير من الكتاب، والذي يتمثل في مجموعة من المشاريع التطبيقية المقترحة، التي تحمل بصمات المشروع الأساسية، وتلتزم بمعاييره وأبعاده العقائدية والتنظيمية، وبالتالي تخدم غاياته الكُبرى.

- يرى المؤلف ضرورة الوقوف على أداء شعوب الأمة المسلمة الميداني والتطبيقي، خلال العقود الأربعة التي مضت، وتتبع أدائها التاريخي والزمني، منذ أن استفتحت قرنها الخامس عشر الهجري، أي عام 1400 للهجرة، الذي وافق عام 1980 للميلاد، وذلك بسبب التحوُّلات الكُبرى، التي حدثت في ساحات الأمة المسلمة منذ ذلك الوقت، والنقلات التاريخية التي قادتها شعوب الأمة، خلال تلك العقود.

حتى وصل الأمر بحراك وجهاد الأمة، إلى التأثير في النظام الدولي وضعضعته، عندما اصطدمت بعض شعوب الأمة، وبشكل متزامن ومتوال مع القوى "العُظمى"، التي تشكل قمة ذلك النظام، كما تجرأت الشعوب على مواجهة عملاء النظام الدولي أيضا؛ وذلك عندما وقف الشعب الأفغاني مجاهدا في وجه الدولة المُلحدة الأولى في العالم، وهي الاتحاد السوفيتي طوال عِقد الثمانينات من القرن العشرين، وعندما وقف الشعب السوري ضد النُّصيريَّة الحامية للمشروع الصهيوني عام 1979م، وعندما جدد الشعب الفلسطيني ثورته ضد المشروع الصهيوني، بنهاية عِقْدِ الثمانينات، حتى تَمكَّن من كشف حقيقة القُدرات العقائدية والبشرية لليهود، وعندما جدَّد العمالقة الأفغان وقوفهم الجهادي أمام الغطرسة الأمريكية عام 2001م، حتى توَّجوا قمم جبال الهندوكوش بنصرهم التاريخي، وعندما وقف الشعب العراقي أمام الاحتلال الأمريكي والإيراني المزدوج، عام 2003م فكلَّف أمريكا الكثير، ومهَّد لهزيمتها في أفغانستان؛ وما كادت العشريَّة الرابعة من القرن الخامس عشر الهجري تبدأ، حتى وُلدت أعظم ثورات الأمة المسلمة الحديثة، في مهدها الأول وأقاليمها العربية، التي تحتضن مساجدها المقدسة الثلاثة، أعني ثورات الربيع العربي، ولكي تشتبك معها الساحة التركيَّة بنهضتها وتمرُّدها على الوصاية الصليبية؛ الأمر الذي يوجب أخذ تلك التطورات التاريخية وأداء شعوب الأمة الميداني، كمقدمات في تأسيس وبناء المشروع الإسلامي، حتى لا تنغلق نظريات المشروع على التنظير البارد، وأوهام العيش في ظل خرائب عسكر وملوك العرب، فمهمة التصورات في المشروع الإسلامي، أن تحدد الغايات الكُبرى للأمة المسلمة، وأن تدفع شعوب الأمة لعبور الثغرات والفجوات، التي تفصل بين النظرية والواقع.

- وإذا كانت بقية الأمم تجهد عقول نُخَبِها لتحديد مستقبلها بين الأمم، وبناء رؤاها الاستراتيجية، فإن أمة محمد ﷺ قد رسم الله عز وجل لها رؤيتها ومستقبلها، إلى درجة تلازم فعل وأداء الأعداء بمستقبل أمة الإسلام، ومن أوضح الأمثلة على ذلك، ما أوجبه الله عز وجل على الأمة المُسلمة، إثر حدوث العُلُوّ اليهودي وإفسادهم



في الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾الإسراء:4-5، فلن يزيل عُلُوّ وفساد يهود إلا الأمة التي تحمل الرسالة الربَّانية الخاتمة؛ وهكذا تتظافر وتتكامل الأحكام الشرعية التي أمر الله عز وجل بها عباده المؤمنين، كتحكيم شرعه والجهاد في سبيله، مع السُّنَن الربَّانية الكونية، التي قضت بِعُلُوِّ دين الحق وظهوره على الدين كله، وعليه فلم يبق للأمة إلا أن تستعيد توازنها العقائدي والأخلاقي، وترسم خريطة طريقها نحو الظهور الحضاري العالمي، حيث لا ينبغي -وفق سُنَن الله عز وجل- أن تبقى ساحات البشر في تداول مُغْلَق، بين مشاريع الكفر كالشيوعية والرأسمالية واليهودية والهندوسية، بل لا بُد للأمة المسلمة أن تقتحم معركة التدافع، وأن تُقدِّم للبشرية النموذج الحضاري الذي تتصاغر أمامه مشاريع القرن العشرين، وأن تسعى لإيقاف انهيار البشرية ومحقها، في ظل التهديد الشامل الذي تفرضه عليها، مشاريع الكفر الطاغوتية بمختلف ألوانها.

- وإن أوْلى التهديدات والمخاطر التي ينبغي أن تواجهها الأمة، هي تلك التي تُطِلُّ برأسها في صفوفها الداخليَّة، من استمرار للفُرْقةِ والشتات، والانكفاء الفكري والاجتهادي، والانكفاء العِرقي والقومي والوطني، وذلك قبل السعي لإيقاف التهديدات والمخاطر الخارجية، الأمر الذي تعرَّض له المؤلف باستعراض تلك المُهددات بأنواعها، ومنها اختلاف مُكوِّنات الأمة على أسس وطرائق بناء المشروع ذاته، بين منهج سياسي، ومنهج جهادي، ومنهج فكري، ومنهج فلسفي، إلى غير ذلك من المناهج، ومن اختلاف على عنوان المشروع، بين الوِحْدات البشرية من قومية وعِرقيَّة وجغرافية، ومحاولة كل كُتلة لفرض رؤيتها وإرادتها على بقية الكُتل، وهو ما يقتضي حسما اجتهاديا وتاريخيا، يقود الأمة إلى مشروع واحد، تحكُمُه القواعد الشرعية، وتُحدِّد رؤاه وأبعاده الاستراتيجية والسياسية والأخلاقية، وحينئذ لا خوف من استغراق كل جهة من جهات الأمة، في بناء وِحدات المشروع، ما دامت الرؤية الواحدة قد رُسمت،

وما دام علماء الأمة قد فرغوا من تصميم المشروع، وحدَّدوا وِجهته وغاياته، وبيَّنوا طبيعة العلاقات بين كُتَلِهِ البشريَّة ووِحداتِهِ الجغرافية.

- ومن أهم ما طرحه المؤلف على المستوى الهيكلي لمشروع التمكين، دعوة شعوب الأمة لاستثمار قدراتها البشرية، وأوزانها الجيوسياسية على مستوى الأرض، لتقاسم تبعات المشروع، من خلال تشكيل خمس وِحدات كُبرى على المستوى العالمي، بحيث يتيح الوزن البشري والاستراتيجي لكل وِحدة، اكتفاء ذاتيا وقدرة على مواجهة التهديد، الذي تفرضه المشاريع الأممية على الأمة المسلمة، مع تكامل تلك الوِحدات وتساندها في ظل مشروع الأمة الكُلِّي.

- ويقترح المؤلف ضمن هيكليَّة المشروع، أن تُوْلِي الأمةُ المسلمة من شرقها إلى غربها، اهتماما وتركيزا خاصا على الوِحدة البشرية والجغرافية العربية، كثقل عالمي ومركزي، يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى بحر العرب شرقا، بعَربها وكُردها وأمازيغها وأفارقتها، وجميع المستظلِّين بها، وذلك لأهميتها وتأثيرها في الصراع، وللأسباب العقائدية والاستراتيجية التالية:

- وجود المساجد المقدسة الثلاثة للأمة المسلمة فيها، ومسؤولية الأمة الجماعية في حمايتها وتأمينها.

- وقوع المساجد الثلاثة المقدسة، تحت هيمنة الحملة الصليبية واليهودية المشتركة منذ عام 1917م، وسيطرة اليهود على بيت المقدس، وما ترتب على ذلك من واجب، وفرض مُحتَّمٍ على شعوب الأمة بتحريره واستعادته.

- الموقع العالمي والاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة العربية، وأهميته القصوى للأمة المسلمة في العالم، فهو قلب الأمة ومركز ثقلها.

- تركيز المشاريع العالمية ضغوطها على المنطقة العربية، والسعي المستمر لإدامة السيطرة على شعوبها وثرواتها، وتقاسم السيطرة والنفوذ عليها، بين المشاريع الدولية والإقليمية، وضرورة تحريرها من تلك السيطرة.

- الوزن البشري والجغرافي والاقتصادي، الذي تمثله المنطقة العربية، حيث يبلغ عدد سكانها قرابة أربعمائة مليون نسمة، وتبلغ مساحة أراضيها قرابة أربعة عشر مليون كيلومتر مربعا، بالإضافة إلى الثروات بأنواعها.

- اشتعال ثورات الربيع العربي فيها واستمرارها لعقد كامل، ودخول الشعوب الثائرة في مواجهة المشاريع المتداعية على قلب الأمة، كالمشروع الصليبي الغربي الأمريكي والأوروبي، والمشروع الصليبي الشرقي الروسي، والمشروع الصهيوني اليهودي، والمشروع الصفوي الإيراني، بالإضافة إلى أنظمة العملاء من العسكر والأمراء العرب، وتقديم الشعوب لملايين الشهداء والجرحى والمُهجَّرين، وتوسع الثورة وتعمُّق أدائها، مما يُنذرُ بتغيير عالمي وإقليمي كبير.

- ويدعو المؤلف في المشروع إلى تفعيل وإحياء المنظومة القِيَميَّة للحضارة الإسلامية، التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية، كمُحرِّكٍ حضاري ودعوي، والتي أنتجت أفضل الأجيال في تاريخ البشر، وهو جيل الصحابة الذي تربَّى على يد النبي ﷺ، ففتح الله لهم قلوب البشر، ودانت لهم عواصم الإمبراطوريات؛ الأمر الذي يقتضي وضع منهج شامل في الإعداد وتربية الأجيال، وخاصة منهج إعداد القيادات وتأهيلها، بما يتناسب وغايات المشروع الإسلامي.

- يرى المؤلف بأن أخطر ما تتعرض له شعوب الأمة، وهي تخوض معركتها الشاملة للتحرر من سيطرة الأمم المتداعية عليها؛ إنما يتمثل في أمرين، أما الخطر الأول، فهو تفرُّق وعُزلة ساحات المعارك والثورات، من ناحية التصوُّرات والآليَّات، وإدارة كل ساحة بانفراد، إما على المستوى "الوطني"، أو "القومي"، أو "العِرقي"، وعدم تكامل ساحات المعركة التي تخوضها شعوب الأمة، وعدم انتمائها لمشروع وتصور واحد يجمعها؛ وأما الخطر الثاني، فهو التفريق والانتقائية بين مشاريع الأعداء في الصراع، ووقوع كُتل الأمة في نوع من الاستقطاب بين تلك المشاريع، الأمر الذي نتج عنه إعادة تدوير الصراعات، وعدم قدرة الأمة على استثمار تضحياتها التي تستمر لعقود، بسبب هذا النوع من الاستقطاب بين مشاريع الأعداء، وعدم تكامل

وتواصل فُرَقاء الأمة في إدارة الصراع؛ ومن الأمثلة الصارخة على عدم قدرة شعوب الأمة منفردة، في مواجهة تداعي مشاريع الأمم، والأخطار الوجودية التي يمثلها الأعداء عليها، "مشروع سد النهضة الإثيوبي الصليبي"، والذي أصبح أحد أخطر أدوات السيطرة الصهيونية والصليبية على الشعب المصري، فهذا المشروع لا يمكن أن يواجه إلا من خلال مشروع الأمة الشامل، بحيث تتحد إرادة شعوب وادي النيل، والشعوب التي حولها في مواجهة هذا التهديد، خاصة في ظل تعقيد الصراع الدولي، الذي يقتضي اتحاد ثورة الشعب المصري، بثورة الشعب السوداني، وثورة الشعب الإرتري، وثورة الشعب الإثيوبي المسلم، ودعم ثورة الشعب الليبي؛ ويكفي أن نُلقي نظرة على مصادر التمويل والدعم، التي تتلقاها الحكومة الصليبية الإثيوبية، في هذا المخطط [(1)]:



(1) بعد الاجتماع المثير لمجلس الأمن.. تعرف على أهم الشركات والدول التي تمول سد النهضة || الجزيرة نت (aljazeera.net)

- ومن أهم ما ينقص المشروع في اطروحاته، هو النقص في تغطية الجانب الاقتصادي للمشروع، وإن كانت له تغطية سابقة في كتاب ملامح المشروع الإسلامي، أملا في قيام العلماء المتخصصين بسد هذه الثغرة، وبناء هذا الجانب الهام من المشروع الإسلامي تنظيرا وتطبيقا.
- سيجد الإخوة القراء نوعا من التكرار في بعض الاطروحات، كمسألة "معايير المشروع"، وغيرها من المسائل وما ذلك إلا للأسباب التالية: ضرورات واقتضاء تكامل عرض وِحدة البحث المعنيَّة، كربط المسألة بما يقابلها من معايير مُحدَّدة في المشروع، أو ضرورة الاختصار أو التوسع، حيث يتم عرض ذات المسألة مختصرة في موضع، ثم استعراضها موسعة في موضع آخر، أو تغيُّر زاوية البحث والتركيز، في بحث ذات المسألة، وهكذا.
- إن قائمة المشاريع التطبيقية الواردة في هذا الكتاب، ليست على سبيل الحصر، وإنما على سبيل المثال، وبحسب أهمية المشاريع وأولويات العمل في الساحات الثوريَّة، وما يفرضه الصراع على ساحات المسلمين من مُتطلَّبات، وما تُلقيه مسارات المشروع الاستراتيجية من واجبات، على كواهل الفئات المختلفة في الأمة، مع العلم بأني تركت بعض المشاريع التي كنت أنوي وضعها في هذا الكتاب لضيق الوقت، وخاصة المشاريع المُبسَّطة، كمشروع التنظيم الشبابي، الذي يمكن أن يُؤسسه أي شاب في الأمة، وبأي عدد مُتاح من الشباب، ثم يمضي لكي يخدم به الأمة المسلمة؛ ولا تزال الحاجة ماسَّة للمُبدعين لكي يُضيفوا إلى القائمة مشاريع تطبيقية جديدة، كما أبدع السابقون وهم يقودون الأمة في فتوحاتها، وتقديم إبداعها الحضاري للأمم.
- يمكن توقع ثلاثة احتمالات، في تعامل علماء وخبراء الأمة، مع اطروحات هذا الكتاب وما وَرَدَ فيه من توجهات، فإما أن يشرح الله عز وجل صدور العلماء لأهم ما جاء فيه بالقبول، كإطار عام ومقدمة لبدء الحوار بينهم، وتوافقهم على ضرورة العمل على بلورة وبناء الاجتهاد الشامل، الذي يستوفي شروط الاجتهاد، وإما

أن يستفيدوا من بعض الاطروحات الواردة فيه، ويوظفوها في استكمال بحث المشروع الذي تحتاجه الأمة، وإما أن يرفضوه ويتجهوا لوضع رؤيتهم وبناء إطار آخر، في ظل اجتهاد جماعي يسد ثغرة الاجتهاد في الأمة المسلمة؛ وفي ذلك كلِّه خير، فحسبي أني أسهمت في جذب انتباه علماء الأمة وخبرائها، إلى هذه المنطقة المفصليَّة من الأداء.

- وأخيرا فإن هذه الرؤية للمشروع الإسلامي، ستظل بحاجة للتسديد وإكمال النقص، إذْ لا يمكن أن ينفرد شخص، أو مؤسسة، أو جماعة، بهذه المهمة الخطيرة والكُبرى في الأمة، فلا بد لها من اجتماع طيف وافر من أهل الحل والعقد، كآليَّة فاعلة ومستمرة، تضمن استثمارا ومشاركة واسعة لطاقات الأمة العِلميَّة والعمليَّة في بناء المشروع، إلى أن تأتلف عقول وقلوب وأيدي الأمة عليه، فتحتضنه وتنهض به ومعه، إلى مراقي النصر والتمكين مرة أخرى.



أهداف الكتاب

الهدف الأول: جذب انتباه علماء الأمة وخبرائها ومستشاريها، إلى مركز وبؤرة التحدي الذي تواجهه شعوب الأمة المسلمة، المُتَمثِّل في سيطرة وهيمنة مشاريع الأمم المتداعية عليها، وخطورة وأهميَّة أدوار العلماء النظريَّة الاجتهاديَّة والتطبيقية في مواجهة ذلك التداعي، من خلال إجابتهم على النوازل الكُبرى المتحققة في ساحات الأمة كلها، والتركيز على موضوع (تمكين الأمة المسلمة)، وعودة سلطانها ودولتها، كمسار أساسي في مواجهة طواغيت الأمم، وتألُّههم وإفسادهم في الأرض.

الهدف الثاني: ترسيخ وتعميق مفاهيم ومنهجية، وضع وإدارة المشروع الإسلامي، من خلال طرح النموذج التطبيقي للمشروع، المُلتزم بالمنهج الشرعي في وضعه وبنائه، اعتمادا على فقه النوازل في إطاره الكُلِّي، ورسم هيكليَّته المتكاملة، في ضوء تحليل استراتيجي لموقف الأمة الحالي، وتحديد النظريَّات الناظمة للمشروع، ثم رسم الرؤية والغايات الكُبرى فيه، وانتقاء مساراته الاستراتيجية، ومعايير وضوابط الأداء فيه، ومراحله المتوقعة، وقراءة سيناريوهات مستقبله، وأدوات وآليَّات العمل التطبيقية فيه.

الهدف الثالث: تطوير استراتيجيات ونظريَّات، إدارة التدافع والتغيير والصراع، والآليَّات المستخدمة فيها، ونقلها من مستوى الاستراتيجيات القُطرية والوطنية إلى مستوى الأمة وصراع المشاريع، ومن مستوى المعارك الجزئية إلى المعركة الشاملة، بمساراتها السياسية والأمنية والعسكرية والإعلامية والاقتصادية، ومن مستوى آليَّات الجماعات والتيارات والأحزاب – مع الإبقاء عليها كمستوى إداري وتنظيمي ضروري- إلى مستوى آليَّات الشعوب، والدول، والحكومات، والمؤسسات، والروابط الإقليمية، والدولية، في ظل المشروع الواحد.

الهدف الرابع: تحديد دقيق لبؤرة وقائمة أعداء الأمة، في الداخل والخارج، ودعوة شعوب الأمة لتفكيك وإسقاط، ثالوث الوصاية والقمع والهيمنة المسيطر عليها، وخاصة في منطقة "الشرق الأوسط"، حيث يتمثَّل هذا الثالوث في: المستوى الأول، وهو مستوى النظام العالمي بشِقَّيْه الغربي والشرقي، ثم المستوى الثاني، وهو

مستوى السيطرة الإقليمية، التي يتقاسمها كل من المشروع الصهيوني، والمشروع الصفوي الإيراني، ثم المستوى الثالث، وهو مستوى أنظمة الحكَّام العملاء في العالم الإسلامي والعربي، بنُظُمِهم الجمهورية العلمانيَّة، والمَلَكيَّة، والعسكريَّة.

الهدف الخامس: ربط المشروع الإسلامي بفُرَص التحوُّل الميدانيَّة، في ساحات الأمة المختلفة، واستثمار جهود ونجاحات شعوب الأمة، وإنجازاتها في ساحات التدافع والثورة خلال العقود الأخيرة، واعتماد ذلك التغيير كأساس لبناء المشروع الإسلامي، واستثمار تعدُّدية الأداء الثوري والتغييري في شعوب الأمة، لوضع المشروع على الأرض، وخاصة النصر الافغاني، وثورات الربيع العربي، والنهضة التركية، وما هو قادم من التحوُّلات الجديدة في ساحات الأمة.

الهدف السادس: الدفع نحو رحابة الرؤى التي يفرضها منهج التجديد في المشروع الإسلامي، والانطلاق نحو عالمية وجود الأمة المسلمة ومشروعها الحضاري، وتحرير العقل المسلم وقدرات الأمة البشرية، من مُخلَّفات مرحلة الغثائية والوهن، التي تَوَلَّدَت في ظل مرحلة الملك الجبري، وملوك وعسكر الدعاة على أبواب جهنم، وتجاوز آثار الانغلاق في الاجتهادات والمدارس، التي سجنت نفسها وأتباعها في سجون ومصالح "الوطنية"، و "العرقية"، و "القومية"، وحالت دون ذهاب الشعوب إلى مظلَّة الأمة الوارفة، وأعانت بذلك أعداء الأمة في استمرار وصايتهم وسيطرتهم عليها.

حسن أحمد الدقي

إسطنبول

الإثنين 9 ذو الحجة 1442 هـ

19 يوليو 2021 م



شَذَرات الشُّكر الواجبة

ما كان في هذا الكتاب من إصابة وسداد، فهو من فضل المولى تباركت أسماؤه وجلَّت صفاته، فقد توالت عليَّ فيوض عطاياه، وهيَّأ لي سبحانه من البيئات الدعوية المباركة، والتتلمذ على ثُلَّة مباركة من المشايخ والعلماء والمفكرين، الذين أنفقوا أعمارهم في بذل العِلم والدعوة إلى الله عز وجل، فنهلت منهم ما تيسَّر لي من العِلم والفقه، واستيعاب تجارب الأمة المعاصرة، ووضعوا على أكتافي من الفضل، ما لا يجازيهم عليه إلا الغني الحميد.

وفي هذه القائمة المختصرة، سوف أتوقف على بعض الفُضَلاء الذين نفعني الله بهم، من جماعات وعلماء ومجاهدين وخبراء، والذين أعتبرهم شركاء في صناعة ووضع هذا المشروع.

أولا: جماعة الإخوان المسلمين

فقد التحقت بجماعة الإخوان المسلمين عام 1973م، فأجلسوني بين يدي كتابِ ربِّي عز وجل، وسُنَّة المصطفى ﷺ، وسِيَر أعلام الأمة، فكانوا بحق مدرسة تربوية في المقام الأول، قبل أن يكونوا مدرسة فكرية أو سياسية، وكانت استفادتي العِلميَّة والعَمَليَّة منهم واسعة؛ وفي مقدمة المسائل التي استلمتها منهم، الاهتمام والعناية بمسألة "المشروع الإسلامي"، والعمل على تحرير شعوب الأمة المسلمة، من وصاية المشروع الصليبي الغربي، ومواجهة أفكار الشيوعية المُلحدة وأخواتها، من بعثية، وناصرية، واشتراكية؛ وإعداد الآليَّة المكافئة في الصراع، والتي تتمثَّل في الآليَّة التنظيمية والحَرَكيَّة، واعتماد الأداء الجماعي، والمؤسسي، والعِلمي، في تعبئة الأجيال المستجدة كي يخدموا دينهم وأمتهم، ويواجهوا التحدي الذي تفرضه المشاريع الأُممية على الأمة المسلمة.

وقد تدرَّجتُ في المستويات التنظيمية لحركة الإخوان المسلمين، حتى أصبحت عضوا في مجلس الشورى الدولي للإخوان، طوال عِقد التسعينيات من القرن العشرين، وهو ما أتاح لي تجربة فريدة في أجواء مؤسسة عالمية، من التواصل والحوار وتقييم التجارب المختلفة، في المجالات الدعوية والتنظيمية والسياسية، وخاصة في ظل امتداد حركة الإخوان، ووصولها إلى مناطق مختلفة في العالم الإسلامي، وعدم انغلاقها على المنطقة العربية، حتى وصلت إلى ماليزيا وإندونيسيا، كما تمكَّن الإخوان من توثيق علاقتهم بجماعات إسلامية مؤثرة، كالجماعة الإسلامية في باكستان، وجماعة نجم الدين أربكان رحمه الله تعالى في تركيا، والحركات المجاهدة في البوسنة، والشيشان، وطاجيكستان، والفلبين، وكشمير، وإرتريا وغيرها، الأمر الذي أفادني كثيرا في بناء شبكة علاقاتي العالمية، ويَسَّر الله عز وجل لي في ظل تلك العلاقات، زيارة المناطق الساخنة، والوقوف على قضايا الأمة المسلمة عن كثب، ودراسة التجارب التطبيقية في المجالات المختلفة.

وكان من الثُّلَّة المُباركة الذين التقيت بهم، وأخذت عنهم من قيادات الإخوان، الشيخ محمد حامد أبو النصر، والدكتور أحمد الملط، والأستاذ مصطفى مشهور، والأستاذ محمد مهدي عاكف، والشيخ محمد عبد الله الخطيب، والدكتور عصام العريان، والشيخ أحمد ياسين، والدكتور حسن الترابي، والدكتور عادل الشويِّخ، والشيخ مناع القطان، والشيخ عبد الله عزام، والشيخ مُنير الغضبان، والشيخ فيصل مولوي، رحمهم الله جميعا، وغيرهم كثير لا يسع المجال لذكرهم.

ومن قيادات الإخوان الأحياء الذين تأثرت بهم، أمَدَّ اللهُ في أعمارهم وضاعف أجورهم: الشيخ عبد المنعم صالح العلي من العراق، فهو شيخ مشايخي ومُلهمي، الذي تأثَّرت بطريقة تفكيره وسِعة عِلمه، طِوال عِقد الثمانينات من القرن العشرين، وخاصة من جهة سَلفيَّة مَنهجِه، وعَالميَّة رُؤيتِه، وعنايته بالتخطيط الاستراتيجي الشامل، في المجال الدعوي والتنظيمي، وموقفه العَقَدي الصَّلب، الرافض للدولة الباطنية الصفوية في إيران؛ وأما شيخي الأول الذي أسهم في تكويني الإيماني

والتنظيمي، فهو من مدينة الزبير في العراق أيضا، وكان ذلك عام 1973م، وللأسف لا أستطيع ذكر اسمه لظروف القمع في بلاده، ثم شيخي الثاني المبارك، المُرِبّي والداعية الفاضل الشيخ حمد حسن الرقيط من الإمارات، الذي أسهم في تربية أجيال الشباب في الإمارات، ثم أصبح قدوة في الثبات أمام الطغيان، حيث سيُكمل بتاريخ 25 يوليو 2021م، تسع سنين في سجون طاغية أبوظبي، مع ثُلَّة مباركة من رجال وأعيان الإمارات، الذين سجنهم بن زايد ظُلما وعُدوانا وبُهتانا، إرضاءً لأسياده من اليهود والنصارى، وإثباتا لزندقته وكرهه لعقيدة الإسلام وأهلها، فأذلَّه الله عز وجل على أيدي هؤلاء الرجال، بما أظهروه من ثبات على الدين والمبدأ، وعدم تأثرهم بإغرائه ولا بإرهابه.


المؤلف يشرف بلقاء الشيخ الشهيد أحمد ياسين عام 1998م

ثانيا: المدرسة السلفيَّة المعاصرة

ومن المدارس التي تأثرتُ بها، المدرسة السلفية المعاصرة، بشطريها "السلفيَّة العلميَّة"، التي أسسها الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق رحمه الله تعالى في الكويت، والمدرسة "السلفيَّة السرورية"، التي أسسها الشيخ محمد سرور بن نايف زين العابدين رحمه الله تعالى في السعودية، فقد كان للمدرستين أثرهما البالغ على الأداء الإسلامي، من جهة الثبات على أصول الدين، والدعوة إلى التمسك بالسُّنَّة ومرجعية العلم الشرعي، وإحياء وتجديد آثارهما في الأمة، وتحكيم القواعد الشَّرعيَّة في رؤية

وتقدير المواقف الكُبرى والحاسمة التي تمر بها الأمة؛ فقد كان لعلماء المدرسة السرورية ومن شاركهم من الإخوان والمستقلين في السعودية، تأثيرهم البالغ في النظر إلى خطورة التدخل الأمريكي العسكري، في جزيرة العرب عام 1991م، على إثر اللعبة الدوليَّة التي قادتها أمريكا، لتأكيد حضورها الدولي وسعيها لسدِّ الفراغ الذي خلَّفه سقوط الاتحاد السوفيتي؛ فأصدر العلماء المستقلون في جزيرة العرب عدة مذكرات كان من أهمها "مذكرة النصيحة"[(1)]، التي سجَّلت أداء سياسيًّا مميزا في تلك المرحلة، وخاصة في ظل الدجل الذي كان يمارسه حكام الخليج، وفي مقدمتهم حكام السعودية، الذين كانوا يدعون متابعة المنهج السلفي، فإذا بهم يُجبرون العلماء الرسميين على الإفتاء، بما يريده الأمريكان، لا بما قرَّرته الشريعة الإسلامية؛ فكان للعلماء والمشايخ المستقلين، موقفهم الصارم الواضح من كذبة "الاستعانة بالأمريكان"، وتمكَّنوا من تسجيل موقف تاريخي، وربط ما كان يحدث على جزيرة العرب بوضع الأمة المسلمة الكُلِّي، فجزى الله خيرا كلَّ من قاد تلك المرحلة ولا زال، وفي مقدمتهم الدكتور سفر الحوالي، والدكتور سلمان العودة، والدكتور ناصر العمر، والدكتور سعد الفقيه، والدكتور محسن العواجي، وغيرهم.

ثالثا: المدرسة الجهادية المعاصرة

وثالث المدارس التي تأثَّرت بها، هي مدرسة الشيخ الشهيد عبد الله عزام، وتلميذه الشهيد أسامة بن لادن، والشهيد يحيى عيَّاش رحمهم الله جميعا، ومَنْ تتابعت أقدامهم في طريق الجهاد والشهادة اللاحب؛ وإن كان أكثريَّة الناس لا يربطون بين مدرسة الجهاد في أفغانستان، ومدرسة الجهاد في فلسطين، لكن الحقيقة الساطعة تقول: أنه لولا مدرسة أفغانستان المجاهدة، وأدوار عبد الله عزام فيها، لما رأينا مدرسة فلسطين المجاهدة، وأحمد ياسين، ويحيى عيَّاش؛ ويكفي عبد الله عزام صدقا وشرفا، أن كانت رؤيته العقائدية والاستراتيجية، تربط بين الجهاد في أفغانستان، والجهاد في فلسطين، فقال ذات يوم مقولته المشهورة: "إن الطريق إلى

(1) نص مذكرة النصيحة https://cutt.ly/YmThG5o

القدس يمرُّ عبر كابل"، فهو لم يأت بشيء من عنده، وإنما قرَّرَ ما استقرَّ في قلوب العُلماء من يقين، بخبر النبي ﷺ، في قوله: (...وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوهْنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ! وما الوهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ) [1]، فكيف سيعود بيت المقدس إلى أحضان الأمة المسلمة، إلا بارتفاع الوهن من قلوب المسلمين جميعا؛ ولخطورة هذه المدرسة وتأثيرها المتصاعد في ساحات المسلمين، في بداية تسعينيات القرن العشرين، فقد كانت هدفا مشتركا لجميع أعداء الأمة، من خلال الشيطنة والتشويه، ومن خلال الاختراق والتحييد، وخاصة الصليبية الأمريكية وأولياؤها من الحكام العرب، بل وحتى المُعمَّمين في طهران شاركوا في احتواء هذه المدرسة، وتفكيكها واختراقها، فكان لذلك التركيز، والاستهداف الأمني، والعسكري، والإعلامي الشامل، تأثيره البالغ على نظرة المسلمين لهذه المدرسة؛ الأمر الذي ركَّزت جهدي في فهمه، ومتابعة خطط الأعداء في هذا الشأن، ومهما يكن من أمر فقد أشعل رُوَّادُ هذه المدرسة الأوائل، جذوة الجهاد في شعوب الأمة المسلمة، ثمَّ مضوا بعد ذلك شهداء، فنالوا بذلك أجرهم وأجر من سار على دربهم: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾الأحزاب:23، بدليل آثارهم في العراق، والبوسنة، والشيشان، وما آلت إليه الأمور من تجذُّر الجهاد في أفغانستان، وسوريا، وليبيا، واليمن، والقادم أدهى وأمر.

رابعا: مدرسة النظام السياسي الراشدي

ويأتي تأثُّري الشَّرعي والفكري البالغ في المرحلة الأخيرة، على يد الدكتور حاكم المطيري حفظه الله تعالى، والذي قادني اجتهاده إلى سد أخطر ثغرة في المشروع الذي طرحته عام 2004م، في كتاب ملامح المشروع الإسلامي، ألا وهي ثغرة النظام السياسي في الإسلام، فقد أحيا الله عز وجل باجتهاده دعوة الأمة المسلمة إلى السُّنَّة النبوية الأولى، التي أوصى بها رسول الله ﷺ أمته، بقوله: (أُوصيكُمْ بِتقْوَى اللهِ، والسَّمعِ والطاعةِ، وإنْ أُمِّرَ عليكم عبدٌ حبَشِيٌّ، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكمْ بَعدِي فسَيَرَى

(1) الألباني، صحيح أبي داود.

اخْتلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بِسُنَّتِي وسنَّةِ الخُلفاءِ المهديِّينَ الرَّاشِدينَ، تَمسَّكُوا بِها، وعَضُّوا عليْها بالنَّواجِذِ، وإيّاكُمْ ومُحدثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالَةٌ)[1]، صحيح أن الدكتور حاكم المطيري لم يكن أوَّل من سعى لإحياء هذه السُّنَّة العظيمة، فقد سبقه إلى القول بها علماء كُثر في قرن السقوط، أي القرن الرابع عشر الهجري، ولكن الدكتور حاكم أضاء بطرحه منطقة دقيقة، كانت معتمة في هذا الشأن العظيم من شؤون الأمة المسلمة، فقد جَلَّى علاقة وارتباط النظام السياسي في الإسلام ببعده العقائدي، حيث لا يستقيم للأمة أمرها العقائدي، إلا باستقامة أمرها السياسي، حيث يؤدي النظام السياسي في الأمة المسلمة، دور المظلة الحامية لتطبيق الإسلام وشرائعه؛ وقرَّرَ الدكتور حاكم المطيري بأنه كما لا يستقيم للأمة أمر دينها إلا بموالاة عقديَّة وأخُوَّة إيمانيَّة، فكذلك لا تستقيم أمور دُنياها إلا بموالاة سياسيَّة تطبيقية شاملة، أي في ظل نظام الخلافة الإسلامية الجامعة؛ كما جَلَّى الدكتور حاكم المطيري الحقيقة الشرعيَّة والتاريخية، حول طبيعة وجود الأمة المسلمة، وانقسام هذا الوجود إلى قسمين متلازمين، فالوجود الأول للأمة، هو الوجود الأزلي الذي تأسس على بعثة خاتم الأنبياء، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، بعقيدتها ونظامها السياسي، واستمرار بقائها إلى قيام الساعة، وبذلك فالأمة على حالها الأصيل وبقاء أحكام دينها، ووجوب تحقيق أحكام الإسلام فيما بينها وعلى أرضها، وفي مقدمة تلك الأحكام إعادة الوجود السياسي لدولتها وخلافتها، فإنها إن لم تفعل فسيعمل الأعداء على تهديد وجودها العقائدي، وصدها عن سبيل الله تعالى؛ الأمر الذي قادني إلى فهم وفقه الفروق العقائدية والتطبيقية الدقيقة، بين المراحل السياسية الثلاث التي مرَّ بها تاريخ الأمة حتى اليوم، وهي مرحلة النظام السياسي الراشدي التي ابتدأت بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وانتهت بعمر بن عبد العزيز، ومرحلة المُلك العضوض التي ابتدأت ببني أميَّة وانتهت ببني عُثمان، ومرحلة المُلك الجبري أو الدعاة على أبواب جهنم، التي ابتدأت بمصطفى كمال،

(1) الألباني، صحيح الجامع.

وعبد العزيز بن سعود، ومولاي حفيظ، وعسكر مصر، والعراق، ونُصَيريَّة سوريا، والتي ستنتهي على يد شباب ثورات الربيع العربي عما قريب؛ فاستقامت بذلك وتكاملت عندي أطروحات المشروع الإسلامي الأساسيَّة، واتضحت أبعاده العقائدية والهيكلية والتنظيمية بشكل أدق بكثير من المراحل السابقة، فجزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء.

خامسا: مدرسة ثورات الربيع العربي

ثم جاءت عشريَّة الربيع العربي الأولى(2011م-2021م)، لتُحلِّقَ بي بعيدا في أجوائها المباركة، ولكي أجد من خلال هجرتي إلى تركيا واستقراري فيها، وزياراتي الميدانية لكل من سوريا وتونس ومصر، فرصة ذهبية لدراسة تلك الساحات وتجاربها عن كثب، فلم تكن الأيام والليالي كافية لاستقبال مواكب المهاجرين إلى تركيا، من قادة وشباب الأمة والحركات الإسلامية الفارّين بدينهم، وكانت فرصتي مزدوجة بين التعلُّمِ والتعليم، وإدارة الحوارات الطويلة المتشعبة، في شأن الثورة والمشروع الإسلامي؛ وقد كان لشبكة العلاقات التي بناها الدكتور حاكم المطيري في ظلِّ مؤتمر الأمة، الدور البالغ والمؤثر في إدارة ذلك الحوار والتواصل، وحظيت في تلك الأجواء بلقاء عدد وافر من قادة ثورات الربيع العربي، ودرَّستُ آلافا من شباب تلك الساحات بفضل الله الكريم، وكانت الفرصة الأجمل والأعمق أثرا، هي التي حانت عندما تواصلت مع قادة الساحات الثوريَّة من المجاهدين والعلماء والثوَّار العرب، في سوريا وليبيا على وجه الخصوص، والحوار معهم والسماع منهم، والوقوف على جهادهم ومعاركهم المباركة، والالتقاء بشهدائهم، الذين كانوا مشاريع شهادة، وهم يتحدَّثون معنا ويسيرون بيننا، ولو علمنا لغسلنا أقدامهم تكريما لهم، لكن تكريم الباري عز وجل لهم أغناهم عن دنيانا وعنايتنا بهم.

فلم يكن هذا المشروع الذي بين أيديكم نتاج غُرف مغلقة، ولا تَصوُّرات نَظريَّة، بل هو نتيجة وقوف على حاجة الأمة الميدانية، ومعاناة شعوبها في مواجهة أمم الكُفر والبغي، وهي تتداعى عليها من شرق وغرب، ونتيجة معركة فكريَّة وجدال مشتبك

وحوار فكري عميق؛ وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في توثيقه ونقله في ثنايا هذا المشروع، الذي أزعم تكامل التصوُّرات فيه، وارتباطها بواقع ومستقبل الأمة المسلمة.


المؤلف في مؤتمر مصر الثورة ومستقبل الأمة - إسطنبول 1 فبراير 2013م

سادسا: تجديد العِزَّة والتاريخ العثماني

وأختم قائمة شذرات الشكر الواجبة هذه إلى الشعب التركي، وقادته الكرام وعلى رأسهم الرئيس رجب طيب أردوغان، الذي تشرَّفت بلقائه ومحاورته في قصر "دولما بهجه" في شهر يونيو عام 2010م؛ وأقول: إن كانت بريطانيا قد تمكَّنت عبر جواسيسها، قبل مائة عام من استخدام مصر والشام والعراق وجزيرة العرب، في فك الارتباط السياسي والروحي والأخوي، بين الترك والعرب، حتى حققت الحلم الصليبي التاريخي باحتلال بيت المقدس عام 1917م، وإعلان إسقاط الخلافة العثمانية، فها هم الأتراك اليوم يكيلون الصاع صاعين لأوروبا وأمريكا، وعملاء الصليبية والصهيونية العرب، عبر الرَّبط المصيري والجيوسياسي، بين الساحة التركية وساحات المسلمين من حولهم، وفي مقدمتها ساحات الربيع العربي، حتى غدت الساحة التركيَّة مظلة مباركة لإدارة الصراع ضد مشاريع تداعي الأمم على الأمة، وحتى لجأ الغرب الصليبي إلى تحريك أوليائه في الداخل التركي، لإعادة السيناريو الذي أتقنوه منذ مئة عام، وهو سيناريو الانقلاب العسكري الذي لجأوا إليه عام 2016م، لكنَّ الله عز وجل سَلَّم، وإن دروس هجرة الشعوب العربية



المضطهدة إلى تركيا، ستبقى تاريخا وفصولا تُروى للأجيال القادمة، وكيف أعاد الله عز وجل معاني الأخوة والتراحم والتناصر، بين إخوان العقيدة والدين.

وقائمة أصحاب الفضل من علماء الأمة، وشيوخها، ومجاهديها، وشبابها، تطول وتتشعَّب خيرا وبركة، وصدقا ومصابرة، فليعذرني الإخوة الذين لم أذكرهم في هذا المقام، فذكر الله عز وجل في الملأ الأعلى، ومحبته لهم تغنيهم عن تنويه البشر وثنائهم.

